فاياي فارهبون يعني تخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور
وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياي فارهبون فهو من بديع الكلام وبليغه
وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله
واحسانه وله ما في السموات والارض لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية
وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وملكه وله الدين واصبا يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما
ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او بالموت
الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة دائمة ابدا افغير الله تتقون يعني انكم عرفتم ان الله واحد
لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون فهو استفهام
بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله يعني من نعمة الاسلام وصحة
الابدان وسعة الارزاق وكل ما اعطاكم من مال او ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب
عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى
بين في هذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها
ثم اذا مسكم الضر اي الشدة والامراض والاسقام فاليه تجارون يعني اليه تستغيثون وتضجون بالدعا
ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة واصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومعنى جوار البقر والمعنى
ان النعم لما كانت كلها ابتدا فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يلجا الا اليه ولا يدعا الا اياه
ليكشفها فانه القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم يعني ثم اذا ازال الشدة والبلا
عنكم اذا فريق منكم يعني طايفة منكم وجماعة منكم بربهم يشركون يعني انهم يضيفون كشف الضر الى
العوايد والاسباب ولا يضيفونه الى الله تعالى فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قيل منهم فريق
لان فريق المومنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ليكفروا بما اتيناهم وقيل ان هذه
اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا انعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها
لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعما وكشفنا عنهم الضر والبلا فتمتعوا
لفظه امر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم
فسوف تعلمون يعني عاقبة امركم الى ماذا يصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى
الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم
عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو
والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا الى المشركين احتجنا فيه الى
اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه عايد
الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم قوله مما رزقناهم يعني ان المشركين جعلوا
للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم واموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام
تالله اقسم بنفسه عز نفسه انه يسألهم يوم القيامة لتسئلن عما كنتم تفترون يعني عما كنتم تكذبون
في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام الالهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا الالتفات من الغيبة الى الحضور
وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله البنات وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما

اطلقوا

اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء او لدخول لفظ التانيث في تسميتهم
سبحانه نزه نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني من البنين
واذا بشر احدهم بالانثى يعني بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به
ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن والغم يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة
التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخير والشر والخبر المحزن
نص قوله واذا بشر احدهم ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعني متغيرا من الحزن والغم والغيظ والكراهة التي حصلت
له عند البشارة والمعنى ان هولا المشركين لا يرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضون بنسبتها
الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله يتوارى من القوم يعني انه ظل يمتلئ حزنا وغما من سوء ما بشر به
ايمسكه على هون يعني انه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب
ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم حتى يعلم ما ولد له فان ولد له ذكرا ابتهج وسر بذلك وظهر وان ولد
له انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان وانما ذكر
الضمير في ايمسكه لانه عايد الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم ام يدسه في التراب يعني انه يخفي ذلك الذي بشر
به في التراب والدس اخفا الشي في الشي قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات
احيا والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة او الحمية فيخاف عليهن من الاسر ونحوه او
لطمع غير الاكفا وكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى كبرت
البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الغنم والابل في البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت
سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحرا فاذا بلغ بها تلك
الحفرة قال لها انظري الى هذه البير فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب على
راسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها فقال الفرزدق
يفتخر بذلك • وعمي الذي منع الوايدات • فاحيا الوئيد ولم يوءد • عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الوايدة والموءودة في النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون
يعني بيس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون
لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء حكمهم
في واد البنات للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء يعني صفة السوء في احتياجهم الى الولد وكراهتهم
الاناث وقتلهم خوف الفقر ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا المقدسة وهو ان له التوحيد وانه المنزه
عن الولد وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقا السرمدي وغير
ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة
ان لا اله الا الله وهو العزيز اي الممتنع في كبريائه وجلاله الحكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ولو
يواخذ الله الناس بظلمهم يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم •
فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال الله تعالى في اية اخرى فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا
من ثلاثة قلت قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الاية الاخرى لان في جنس
الناس الانبيا والصالحون ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)